

## الفصل التاسع

### نظرات تربويّة في علاقة الطفل بوالديه

المبحث الأول : حكم البرّ و حدوده و مبرراته .

المطلب الأوّل : وجوب البرّ ، و سببه ، و نتيجته .

المطلب الثّاني : البرّ واجب في غير معصية .

المطلب الثالث : وجوب الإحسان للوالدين و لو كافرين في حدود الشرع .

المبحث الثاني : أهميّة برّ الوالدين .

المطلب الأوّل : أثر الإحسان للوالدين في الآخرة .

المطلب الثّاني : أثر الإحسان للوالدين في الدّنيا .

المطلب الثالث : رؤية فقهية حول تقديم برّهما على الفروض الكفائية .

المبحث الثالث : حقائق هامّة في قضية برّ الوالدين .

المبحث الرابع : صور البرّ و مجالاته .

المطلب الأوّل : صور البرّ حال حياة الوالدين .

المطلب الثّاني : صور البرّ بعد وفاة الوالدين .

المبحث الثالث : العقوق .

المطلب الأوّل : عاقبة عقوقهما الدنيويّة .

المطلب الثّاني : ضابط ما يسمّى عقوقاً .

## المبحث الأوّل :

### حكم برّ الوالدين ، و حدوده ، و مبرراته

#### المطلب الأوّل : سبب وجوب برّهما و نتيجته

الأبناء ثمرة الآباء ، وأبناء اليوم آباء الغد ، فمن أراد من أولاده أن يبروه عليه أن يبرّ والديه ، وهذا أقلّ الواجب .

فالأم قد حملت الولد وهناً على وهن ، حملته حين كان جنيناً في بطنها ، و حملته في حضنها بعد أن وضعته لسنين عدّة ، وسهرت من أجل راحته ، فرحةً لفرحه ، باكية لبكائه . همّها و ديدنها توفير الاطمئنان و الرّاحة للولد .

و كذا فإنّ الأب لم يكن تعبته قليلاً لأجل الأولاد . فهو الذّاهب صباحاً والغادي مساءً . يمضي نهاره تحت الشّمس المحرقة أو في مواجهة الزمهرير البارد ، يتحمّل دخان الآلات و حفر التراب ، و حمل الأحجار والأكياس الثّقيلة إلى أعالي العمارات من الأبنية ، أو ينزل بها تحت بطون الأرض . وذلك بحسب العمل الذي يقوم به ، فسواء في ذلك المدرّس و المهندس و الطبيب و الموظف و غيرهم ، فكلّ يبذل جهداً معيناً ، فالجهود و إن اختلفت ماهيتها كلها تتركز حول توفير العيش الكريم للأولاد .

ومن ذلك يظهر أنّ واجباً كبيراً ملقى على الولد اتّجاه الوالدين ، يتلخّص في برّهما و طاعتهما ورفع الأذى عنهما ، والإنفاق عليهما ، ولا سيّما إذا كانا ضعيفين عاجزين ، مريضين شيخين ، و بدا ينظران إليه نظرة طالبة ردّ الجميل الكبير الذي أسدياه إليه على امتداد العمر .

والسؤال : هل يقدرُ الولد جهد الأبوين فيقابل الإحسان بالإحسان ؟ أم يتنكر باستكبار و جحود ؟ فيا لخسارة الولد عندئذ لأنه أولاً عصى ربّه سبحانه ، وثانياً أنكر الإحسان . و الله تعالى قال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ وقال أيضاً : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٥).

نعم ، البرُّ واجب على الولد إذا كانا شابين ، أما إذا بلغ العمر منهما مبلغاً وانحنى ظهرهما فقد تعاطم واجب الأبناء اتجاء أبويهما لأنهما أصبحا لا حول لهما ولا قوة ، إنهم أشبه بالأطفال . و الضعيف يتأذى من أقل لفتة مؤذية ، كما يتأذى من أقل ملاحظة قاسية ، فما بالك بالتهديد أو التعنيف ، إنهما افتقدا كل قوتهما في سبيل تربية الأبناء وتنشئتهما ، ولذا فهما يتطلعان لإحسان هذه الشجرة أو هذه الغرسة التي أصبحت شجرة مثمرة ، ثرى هل يصلهما من هذه الثمرة شيئاً ؟ و أملهما كبير لأنهما زرعاً فأحسنا الزرع ، وأعطيا فأجزلا العطاء .

و قد رفع الرسول ﷺ أهمية الوالدين إلى مكانة عظيمة وذلك في الحديث الذي رواه أبو أمامة ؓ أن رجلاً قال : يا رسول الله ! ما حقّ الوالدين على ولدهما ؟ قال : « هما جنتك ونارك » (٢٦).

ثم جاءت أهمية رضا الوالد عندما ربط الرسول الكريم ﷺ بين رضا الربّ جلّ وعلا ورضا الوالد . فعن ابن عمرو بن العاص ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « رضا الربّ من رضا الوالد ، وسخط الربّ من سخط الوالد » (٢٧).

(١) سورة : الإسراء ، الآية : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة : لقمان ، الآية : ١٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجة .

(٤) أخرجه ابن حبان ، وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال : صحيح على شرط مسلم ٤ / ٢٥٢ . وانظر لسلسلة

الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٥١٦ .

و كذا ظهرت العلاقة بين رضا الوالد ودخول الجنة . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فحافظ على الباب أو أترك هذا » .<sup>(١)</sup>

غير أن الأباء إذا برّوا آباءهم هيأ الله لهم أولاداً بارين طائعين ، ثم إن برهم مفيد جداً لأولادهم إذا كان هذا البرّ حاصلًا أمام الأولاد وعلى مرأى منهم . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عفوًا عن نساء الناس تعفُّ نساؤكم ، وبرّوا آباءكم تبرُّكم أبناءكم . و من أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد على الحوض » .<sup>(٢)</sup>

فإذاً اتضح أن سبب العقوق واضح في مرحلة الطفولة التي تتميز بقوة سيطرة الوالدين وعمق فطريتهما ، فإنّ الطريق السليم لتقويم الطفل وسلوكه سلوك الأبرار وسيهره بشكل سوي هو أن نعدّل من سلوكنا ، وأن نغيّر من علاقتنا مع والدينا نحو البرّ والطاعة ، والابتعاد عن العقوق بشتى ألوانه وصوره .

وفقاً لهذا فإنّ ما تصرفه الآباء اتجاه والديهم يسري في نفوس الأطفال على نحوٍ واع أو غير واع ، وهذا يجري وفق السنّة الإلهية الاجتماعية ( كما تدين تدان ) ، وهذا ما يؤكده الواقع (( فإذا تأمل الإنسان وجد مصداق هذا القول ورأى بأمّ عينيه أنّ الأب العاقّ سينتج ولداً عاقاً ))

### المطلب الثاني : البر واجب من غير معصية

إنّ الله سبحانه بلا شكّ رفع مكانة الوالدين إلى المقام الأعلى ، ورتب على برّهما الأجر العظيم ، وعلى عقوقهما العذاب الشّديد ، لكنّه شرط في هذا كلّهُ أن ينضبط الوالدان بالشرع لذا نهى الله الولد عن برّهما فيما إذا أمراه بما هو خارج عن ضوابط الشرع .

ولكن المدقق في طلب الله بعدم طاعتها في المعصية يجد أمراً على غايةٍ من الأهمية ألا وهو كون عصيان أمر الوالدين حالة مخالفته لشرع الله تعالى هو برّ لهما وإحسان كي لا يحملا

(١) أخرجه الترمذي و الحاكم في المستدرک ٤ / ١٥٢ وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه الحاكم ، وقال الذهبي : صحيح ، ٤ / ١٥٤ . انظر المستدرک .

أوزارهم وأوزاراً فوق أوزارهم ، وفي هذا تذكير لهم ونصح بالإنبابة إلى الله والتوبة إليه ، وإذا أصرَّ الوالدان على ابنهما أن يفعل المعصية استمرَّ برفض أمرهما مذكراً إياهم أن في هذا عصيان لله وما أظنكما تريدان مني أن ألع جهنم لأنكما تحباني .

وإن استمرا بالأمر بالمعصية يبقى الولد رافضاً أمرهما هذا ، ويبقى الواجب عليه الإحسان لهما وطاعتهما بالمعروف رغم انحرافهما الجزئي عن الشريعة .  
وقد تكاثرت النماذج المنقولة عن السلف الصالح التي تحكي لنا كيف كان الصحابة يتعاملون مع الوالدين إذا أمرا بمعصية .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (( أنزلت في أربع آيات من القرآن . قال : حلفت أمُّ سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب . قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك فأنا أمك ، وأنا أمرك بهذا . قال : مكثت ثلاثاً حتى غشيَ عليها من الجهد ، فقام ابنُّ لها يقال له عُمارة فسقاها ، فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عزَّ وجلَّ في القرآن هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . و قال : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وروى ابن جرير <sup>(٣)</sup> بسنده عن أبي زياد قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الله بن ابن سلول فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : (( ألا ترى ما يقول أبوك ؟ )) قال : و ما يقول أبي فذاك أبي

(١) سورة : العنكبوت ، الآية : ٨ .

(٢) سورة : لقمان ، الآية : ١٥ . والحديث أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) رواه محمد بن إسحاق بن يسار ، كما في مختصر ابن كثير لمحمد علي الصابوني .

وأمي؟! قال : « يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ » فقال : فقد صدق و الله يا رسول الله ، أنت والله الأعزّ وهو الأذلّ . أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وإنّ أهل يثرب ليعلمون ما به أحد أبرّ بوالديه منّي ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به . فقال رسول الله : « لا » . فلما قدموا المدينة قام عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ أبي علي بابها بالسيف لأبيه فقال له : أنت القائل ( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ ؟ ) أما والله لتعرفن العزّة لك أو لرسول الله ﷺ . والله لا يؤويك ظلّها ، ولا تؤويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله ، فقال : يا للخروج ! .. ابني يمنعني بيتي .. يا للخروج ! .. ابني يمنعني بيتي ! . فقال : والله ! لا يؤويه إلا بإذن منه . فاجتمع إليه رجال فكلموه ، فقال : والله لا يؤويه إلا بإذن من الله ورسوله . فأتوا النبي ﷺ فأخبروه ، فقال : « اذهبوا إليه فقولوا : خلّه ومسكنه » فأتوه فقال : أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم .

### المطلب الثالث : وجوب الإحسان لهما ولو غير مسلمين في حدود الشرع

الإحسان للموالدين يستمرّ في أمور الدنيا وإن كانا مشركين لما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد ما ( معاهدته ﷺ مع المشركين وتأمينه لهم في صلح الحديبية ) فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت : قدمت عليّ أمي وهي راغبة ( طامعة فيما عندي تسألني شيئاً ) أفصل أمي ( مع كفرها ) ؟ قال : « نعم صلي أمك »<sup>(١)</sup> . قال ابنُ عيينة : فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) سورة : المتحنة ، الآية : ٨ .

## المبحث الثاني :

## أهمية برّ الوالدين

## المطلب الأول : أثر الإحسان إلى الوالدين في الحياة الآخرة

لبر الوالدين فضل عظيم على الإحسان في الآخرة فمن آثار البر التي ينعم بها الإنسان في الآخرة :

١ - يكفر الذنوب الكبيرة :

إنّ العمل الصالح رصيد المخلوق في آخرته ، لكنّ الرصيد الأقوى برّ الوالدين ، فهو الفعل الذي يكفر الذنوب على الرّغم من عظمتها . فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ! إنّي أصبْتُ ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ فقال : « هل لك من أم ؟ » قال : لا . قال : « هل لك من خالة ؟ » قال : نعم . قال : « فبرّها »<sup>(١)</sup>.

ولعل ما رآه ابن عباس للرجل الذي قتل امرأة فيه دلالة عظيمة على الوزن الكبير العظيم في ميزان الله لطاعة الأمّ . فقد ورد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه أتاه رجل فقال : إنّي خطبتُ امرأة فأبّت أن تنكحني ، وخطبها غيري فأحبّت أن تنكحه ففرتُ عليها فقتلتها فهل لي من توبة ؟ قال : أمك حية ؟ قال : لا . قال : تبّ إلى الله عزّ وجل وتقرّب إليه ما استطعت . فذهبتُ فسألتُ ابن عباس : لم سألتُهُ عن حياة أمّه ؟ قال : إنّي لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عزّ وجل من برّ الوالدة<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

## ٢- بر الوالدين يدخل صاحبه الجنة :

نِعَمَ الدَّخُولُ دُخُولَ الْجَنَّةِ ، وَ نِعَمَ الصَّنِيعِ بَرَّ الْأُمِّ وَالْأَبِ ، فَإِذَا كَانَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَ يَبَاعَدُ عَنِ النَّارِ فَلَا رَيْبَ إِذَا أَنَّهُ يَحْقُقُ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَ أَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَ اجْتِنَابِ النَّارِ لَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾<sup>(١)</sup> . وَ هَذَا الْفَوْزُ يَحْصُلُ بِإِكْرَامِ الْأُمِّ وَبِرِّهَا إِذْ رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ قِرَاءَةَ فُكْرَةٍ مِنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَلِكَمُ الْبِرُّ » وَ كَانَ بَرًّا<sup>(٢)</sup> . وَ فِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ : كَانَ أَبْرُّ النَّاسِ بِأُمِّهِ<sup>(٣)</sup> .

وَ كُنَّا قَدْ اسْتَشْهَدْنَا بِالْحَدِيثِ الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ لِلرَّجُلِ : « هُمَا جَنَّتُكَ وَ نَارُكَ » . وَ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الَّذِي يَدْرِكُ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِبِرِّهِمَا فَقَدْ فَاتَهُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ ، وَ ذَاقَ مِرَارَةَ الْهَوَانِ وَ الذَّلَّ .

فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، مَنْ أَدْرَكَ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ »<sup>(٤)</sup> . وَ كَذَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ : « مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَ اسْحَقَهُ »<sup>(٥)</sup> . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَبْشُرُ مَنْ أَتَى أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ بِالْجَنَّةِ لَكِنَّهُ اشْتَرَطَ لِذَلِكَ أَلَّا يَعْقُ هَذَا الصَّالِحَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا . فَقَدْ رَوَى عُرْوَةُ بْنُ مَرَّةٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَ صَلَّيْتُ الْخُمْسَ ، وَ أَدَيْتُ زَكَاةَ مَالِي ، وَ صَمِتُ

(١) سورة : آل عمران ، الآية : ١٨٥ .

(٢) أخرجه النسائي .

(٣) أخرجه أحمد في المسند .

(٤) أخرجه ابن ماجة .

(٥) أخرج أحمد و ابن حبان ، كما أخرجه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم / ٤ / ١٥٢ .

شهر رمضان . فقال النبي ﷺ : « مَنْ مات على هذا كان مع النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا » ونصب أصبعيه « ما لم يعقِّ والديه »<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثاني : أثر الإحسان للوالدين في الدنيا

#### ١ - زيادة العمر والرزق :

وما من شكَّ أَنْ المقصود بزيادة العمر البركة فيه . فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سرَّه أن يمُدَّ له في عمره ، ويزداد له في رزقه ، فليبرِّ والديه ويصل رحمه »<sup>(٢)</sup> .  
وقد هنا الرسول الكريم ﷺ الذي برَّ والديه ، ودعا له بطول العمر فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ برَّ والديه طوبى له ، زاد الله في عمره »<sup>(٣)</sup> .  
وبين الرسول ﷺ العلاقة السببية بين جلب الرزق والمعصية والبرِّ . فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ الرجل ، ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرُدُّ القدر إلا الدَّعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البرِّ »<sup>(٤)</sup> .

### المطلب الثالث : رؤية فقهية حول تقديم برِّهما على الفروض الكفائية

إنَّ الفقه الإسلامي يمتاز بمرونته وواقعيته وشموليته لكافة الظروف العادية والاستثنائية .  
ومسألة برِّ الوالدين وتقديمها على الفروض الكفائية وإمكان التَّعارض مسألة من المسائل التي يظهر الفقه الإسلامي فيها بميزاته المرنة الواقعية .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ١٥٢ وقال صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه أحمد في المسند .

(٣) رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال : صحيح . وأقره الذهبي . وانظر فيض القدير ٦ / ٩٥ ، للمناوي .

(٤) أخرجه ابن ماجة والحاكم .

من المعلوم أنّ برّ الوالدين فريضة عينيّة على كلّ مسلم ، ولا يوازي هذا الفرض إلا فرض مثله <sup>(١)</sup> . ففريضة الصّلاة أو الزّكاة أو الصّوم أو الحجّ يوازي كلّ منها فريضة برّ الوالدين .

والجهاد العيني في ساحة النّفير العام يوازي فريضة برّ الوالدين . لكنّ أداء الحجّ للمرّة الثّانية لا تساوي أو توازي فرضية برّ الوالدين . (( ففي هذه الحالات يحاول الابن قدر استطاعته التّوفيق بينهما )) <sup>(٢)</sup> . ول للإمام الغزالي رأي في غاية الإحكام حيث قال في الإحياء بعد أن ساق أحاديث برّ الوالدين : (( أكثر العلماء على أنّ طاعة الأبوين واجبة في الشّبّهات )) <sup>(٣)</sup> .

أمّا في الفروض الكفائيّة - التي إذا قام فيها البعض قياماً يكتفي منه المجتمع المسلم سقط عن الباقيين - فإنّ برّ الوالدين يتقدّم عليها جميعاً .

فما بالك إذا تعارض فرض البرّ مع المباحات والندوبات <sup>(٤)</sup> .

من هنا جاء الإمام الغزالي ليؤصّل هذه الحالات و فق قواعد تصلح لتكون نبزاً للمسلم يهتدي بها عندما تواجهه الحالات المتشابهة أو المشتبهة حيث قال : (( مَنْ شغله نغله عن فرضه فهو مغرور ، ومَنْ شغله فرضه عن نغله فهو معذور )) <sup>(٥)</sup> .

ويمكن لنا أن نسترشد ببعض الأمثلة العمليّة تطبيقيّاً لهذه التوجيهات :

### ١ - تقديمه على الجهاد الكفائي

إذا تعارض برّ الوالدين والجهاد <sup>(٦)</sup> في سبيل الله فإنّ برّ الوالدين يقمّ عليه لأنّ البرّ فريضة على كلّ فرد بعينه . فقد ورد أنّ جاهمة رضي الله عنها أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : إني أردت أن أغزو

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، منهج التّربية النّبويّة ، ص ١٤٩ .

(٢) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، منهج التّربية النّبويّة ، ص ١٤٩ .

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٢ / ٢١٨ .

(٤) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التّربية النّبويّة للطفّل ، ص ١٥٠ .

(٥) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٢ / ٢١٨ .

(٦) المقصود هنا الجهاد الكفائي . إذ قد يكون الجهاد عينياً ساعة النّفير العام عند مداعمة الأعداء لأراضي المسلمين .

و عندها فإنّ الجهاد يصبح فريضة على كلّ فرد رجلاً كان أو امرأة . فإنّ لم يستطع الابن التّوفيق بين برّ الوالدين =

وجئت أستشيرك . فقال له رسول الله ﷺ : « ألك والدة ؟ » قال : نعم . قال : « اذهب فالزمها فإن الجنة عند رجلها » <sup>(١)</sup> كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحبَّ إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلوة على وقتها » قلت : ثم أيُّ ؟ قال : « برُّ الوالدين » قلت : ثم أيُّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن حجر : (( إنَّ برَّ الوالدين استئذانهما في الجهاد ، لثبوت النَّهي عن الجهاد بغير إذنهما )) <sup>(٣)</sup> .

كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال : أباعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله . فقال له : « هل لك من والديك أحد حي ؟ » قال : نعم ، بل كلاهما . قال : « فتبتغي الأجر من الله ؟ » قال : نعم . قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » وفي رواية للبخاري ومسلم أنه جاء رجل فاستأذنه في الجهاد ، قال : « أحي والداك » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » <sup>(٤)</sup> .

قال ابن حجر : قوله (( ففيهما فجاهد )) أي : إن كان لك أبوان ، فأبلغ جهدك في برِّهما ، والإحسان إليهما ، فإنَّ ذلك يقوم لك مقام قتال العدو . <sup>(٥)</sup>

وتأتي إضاعة الإمام الغزالي على نحو تأصيلي مضيفاً على هذه المسألة معاني عظيمة فيشبعها درساً وتمحيصاً ومحاكمة عند تعارض هذه الفرائض مع بعضها فيقول : (( أكثر العلماء

= وبينه قدم فريضة الجهاد . وأمَّا الجهاد الكفائي \_ وهو مقصودنا هنا \_ فهو الذي إذا قام به البعض سقط عن الكل .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک وقال : صحيح الإسناد . ، وأقره الأذهبي .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري .

على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات ، وإن لم تجب في الحرام المحض ، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم . وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح ، أو نافلة إلا بإذنهما . والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض في الإسلام نفل لأنه على التأخير . والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلوة والصوم فلم يكن في بلدك من يعلمك ، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه بالهجرة ، ولا يتقيّد بحق الوالدين ))<sup>(١)</sup> .

## ٢ - تقديم بر الوالدين على الزوجة والأصدقاء

إن من مظاهر الانتكاس في حياتنا الاجتماعية عقود الأم من قبل أبنائها ، ومن مظاهر الخلل في الميزان الاجتماعي والأخلاقي والشّرعي الذي نقيس على أساسه صواب الأعمال أو خطأها تقديم بر الزوجة على بر الأم علماً أن الميزان الصحيح يقول بضرورة تقديم بر الأم على الزوجة ، لأن الأم هي التي تعبت وضحت من أجل أولادها وليست الزوجة ، لذا كان تقديم بر الزوجة على بر الأم من المظاهر التي تسبب نزول البلاء والمصائب على الأمة لحديث الرسول ﷺ عن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلت أمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء : ... وأطاع الرجل زوجته وعق أمه ، و بر صديقَه وجفا أباه ... »<sup>(٢)</sup> .

و كان الصحابة رضي الله عنهم يطيعون آباءهم ولا يعصون أمرهم حتى في خصوصياتهم العاطفية والنفسية فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت تحتي امرأة ، وكنت أحبها ، وكان عمرُ يكرهها ، فقال لي طلقها . فأبيت . فأتى عمر بن الخطاب رضي الله عن النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال للنبي ﷺ لي : « طلقها »<sup>(٣)</sup> .

## ٣ - تقديم بر الوالدين على زيارة الرسول ﷺ

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٢ / ٢٦٨ .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) أخرجه الترمذي .

وهنا تظهر عظمة الرجال الذين برّوا أمهاتهم و برّوا آباءهم فوصلوا بفضل برّ الأمّ إلى درجات عالية في كل مجال ، حتّى انشغل بها عن زيارة الرسول ﷺ ومشاهدته ولو مرّة واحدة لأنّ أمّه بحاجة شديدة إليه .

وهذا النموذج تجسّد خير تجسيد في أويس القرني ﷺ . فعن أسيد بن جابر رحمه الله قال : كان عمر ﷺ إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم : أفیکم أویس بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مُراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أویس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مراد ثم من قرن ، و كان به برص فبرأ إلا موضع درهم له والدة هو بها برٌّ ، لو أقسم على الله لأبرّه ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لي فاستغفر له . فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب إلى عاملها ؟ قال : أكون في غبراء النَّاس أحبُّ إليّ . قال : فلما كان من العام المقبل حجَّ رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أویس ، قال : تركته رثَّ البيت ، قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أویس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مراد ثم من قرن ، و كان به برص فبرأ إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برٌّ ، لو أقسم على الله لأبرّه ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فأتى أویساً فقال : استغفر لي . قال : أنت أحدث عهد بسفر صالح فاستغفر لي . قال : لقيت عمر فقال : فاستغفر له . ففطن له النَّاس ، فانطلق على وجهه . قال أسيد : و كسوته بردة ، فكان كلما رآه إنسان قال : من أين لأویس هذه البردة ؟ (١) .

(١) أخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة / باب : من فضائل أویس القرني / رقم ٤٦١٣ .

#### ٤ - تقديم برّ الوالدين على حبّ الأولاد

قلت قبل قليل : إنّ برّ الوالدين رصيد للإنسان في يوم صعب عسير يقلّ فيه النّصير ويعزّ فيه المعين ، ألا وهو اليوم الآخر ، يوم الحساب والجزاء ، يوم يفضي الإنسان إلى ما قدّم . من هذه الحادثة التي تقدّمها مذكّرين بفضل برّ الوالدين والإخلاص الشّديد في هذا البرّ تظهر لنا عظمة أجر هذا الفعل عند الله وأهميته في ساعة العسرة .

فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت إلى غار ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنّه لا ينجيكم من هذه الصخرة ، إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم إنّه كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبِق<sup>(١)</sup> قبلهما أهلاً ولا مالاً فأنأى<sup>(٢)</sup> بي طلب الشجر يوماً ، فلم أرح عليهما حتّى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما و أن أغبِق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت و القدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتّى برق الفجر ، و الصببة يتضاغون<sup>(٣)</sup> عند قدمي ، فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . وقال الآخر : اللهم إنّه كان لي ابنة عمّ كانت أحبّ للنّاس إليّ \_ و في رواية : كنت أحبّها كأشدّ ما يحبّ الرجل النّساء - فأردتها على نفسها فامتنعت منّي حتّى ألّمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتّى إذا قدرت عليها - و في رواية : فلما قعدت بين رجليها - قال : اتق الله ، لا تفضّ الخاتم إلاّ بحقه . فانصرفت عنها ، وهي أحبّ للنّاس إليّ ، و تركت الذهب الذي أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة غير أنّهم

(١) لا أغبِق قبلهما : لا أقدم في الشرب عليهما .

(٢) نأى : بعد .

(٣) يتضاغون : يصيحون .

لا يستطيعون الخروج مكنها . وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً و أعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له و ذهب ، فثمّرت أجره حتّى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أدّ إليّ أجري . فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل و البقر و الغنم و الرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي . فقلت : لا أستهزئ بك . فأخذه كلّهُ ، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة فخرجوا يمسون» (١).

### تقديم بر الوالدين على الهجرة في سبيل الله

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني جئتُ أبايعك على الهجرة ، وتركتُ أبواي يبكيان . فقال له صلى الله عليه وسلم « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » (٢).

### عاقبة تقديم النوافل على برهما

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه : (( كان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأتته أمه و هو يصليّ فقالت : يا جريج ! فقال : اللهم أمي و صلاتي ، فأقبل على صلاته . فقالت بعد ثلاث يوم بعد ثالث مرّة : اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات . فذكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغيّ يُتمنّل بحسنها فقالت : إن شئتم فتنته . فتعرّضت له فلم يلتفت لها ، فأنت راعياً كان يأوي إلى صومعة فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها فحملت ، فلما ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فأنزلوه في صومعته ، وهدموها وجعلوا يضرّبونه . فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغيّ فولدت منك . فلما انصرف أتى الصبيّ

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) أخرجه النسائي و أبو داود و ابن ماجه .

فطعن في بطنه وقال : يا غلام! مَنْ أبوك؟ فقال : فلان الراعي . فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسّحون به . وقالوا : نبني صومعتك من ذهب؟ قال : لا ، أعيدوها من لبن كما كانت . ففعلوا . و بينما كان الصبيّ يرضع من أمّه ، مرّ رجل على دابّة فارهة وشارة حسنة فقالت المرأة : اللهم اجعل ابني مثل هذا . فترك الثدي وأقبل ينظرُ إليه وقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثمّ أقبل على ثديه وجعل يرضع . - قال : فكأنّي أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي ارتضاعه بأصبعه السّبابة في فمه يمصّها . - ومروا بجارية يضرّبونها ويقولون : زنيّت ، سرقت ، وهي تقول : حسبي الله تعالى ونعم الوكيل . فقالت أمّه : اللهم لا تجعل ابني مثلها . فترك الرضّاع ونظر إليها وقال : اللهم اجعلني مثلها <sup>(١)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر : (( قال ابن بطال : سبب دعاء أم جريج على ولدها أنّ الكلام في الصلاة كان في شرعهم مباحاً ، فلما آثر استمراره في صلاته ومناجاته على إجابته دعت عليه لتأخيرها حقّها . قال ابن حجر : والذي يظهر من ترديده في قوله : (( أمي وصلاتي )) أنّ الكلام عنده يقطع الصلاة فلذلك لم يجبهها . وقد روى الحسن بن سفيان من طريق اللّيث عن يزيد بن حوشب عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( لو كان جريج عالماً لعلم أنّ إجابته أمّه أولى من عبادة ربّه )) <sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) أخرجه و مسلم . وانظر ابن حجر ، فتح الباري .

## المبحث الثالث :

## حقائق لا بدّ من الإلمام بها في قضية برّ الوالدين

الحقيقة الأولى : أحقّ الناس بصحبة الابن والداه :

الصديق الصادق الوفيّ المخلص مطلب للإنسان ، يبحث عنه و قد يجده وقد لا يجده .

لذا جاء التوجيه الإسلاميّ على لسان النّبوة راشداً الابن إلى خير صديق ، وأكرم وفيّ .

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! من

أحقّ النَّاس بحسن صحبتي ؟ قال : « أمك » قال : ثمّ من ؟ قال : « أمك » قال : ثمّ من ؟

قال : « أمك » قال : ثمّ من ؟ قال : « أبوك » <sup>(١)</sup> .

وفي رواية أخرى مقررة للأقرباء حسن الصحبة إذ قال الرجل : من أحقّ بحسن صحبتي ؟

قال : « أمك ، ثمّ أمك ، ثمّ أمك ، ثمّ أباك ، ثم أدناك أدناك » <sup>(٢)</sup> .

الحقيقة الثانية : برّ الأم أولى عند التعارض مع برّ الوالد والأصل التوفيق بينهما :

وينبغي للولد أن يرحم أمه ويراعي شعورها أكثر من الأب ، لأنّ قلبها أرقّ وشعورها أكثر

حساسية ، كما أنّ شعورها بالعجز أكثر ، ولأنّها تعبت من أجله أكثر من الأب <sup>(٣)</sup> لذلك قال

سبحانه و تعالى في كتابه العزيز عن الأمّ : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) أخرجه مسلم و أبو داود و ابن ماجة .

(٣) خالد عبد الرحمن عك ، تربية الأبناء و البنات في القرآن و السنّة ، ص ٢٣٦ .

(٤) سورة : لقمان ، الآية : ١٤ .



وقال ابن حجر العسقلاني : وبه جزم الشافعية : يقدم الجد ثم الأخ ، ثم يقدم من أدلى بأبوين على من أدلى بواحد ، ثم تقدم القرابة من ذوي الرحم ويقدم منهم المحارم على من ليس بمحرم ، ثم سائر العصبات ، ثم المصاهرة ، ثم الولاء ثم الجار .

وأشار ابن بطال : إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة . وهو واضح <sup>(١)</sup> .

كما جاءت نصوص نبوية أخرى تؤكد تفضيل طاعة الأم وبرها مطلقاً فقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ : أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : « زوجها » فقلت : فعلى الرجل ؟ قال : « أمه » <sup>(٢)</sup> .

#### الحقيقة الثالثة : الولد وما يملك لأبيه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قد أتاه رجل فقال : يا رسول الله إن لي مالاً وولداً ، وإن أبي يجتاح مالي . فقال : « أنت ومالك لأبيك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم ، فكلوا من كسب أولادكم » <sup>(٣)</sup> . كما قال رسول الله ﷺ : « إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم » <sup>(٤)</sup> .

وقد روى القرطبي في تفسيره حادثة شيخ مع ابنه ، فقال : روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن أبي أخذ مالي . فقال النبي ﷺ للرجل : « فأنتني بأبيك » . فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال : « إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه . فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ : « ما بال ابنك يشكو ؟ أتريد أن تأخذ

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٦٣ . نقله عن ابن حجر .

(٢) أخرجه الحاكم .

(٣) أخرجه النسائي و أبو داود و أحمد .

(٤) أخرجه الترمذي و ابن ماجه و أحمد .

ماله؟» فقال : سله يا رسول الله ! هل أنفقهُ إلا على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسي ؟ فقال رسول الله ﷺ له : « إيه .. دعنا من هذا ، وأخبرنا عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذنك » فقال الشيخ : والله يا رسول الله مازال الله عزّ وجل يزيدنا بك يقيناً . لقد قلتُ في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي . قال : « قل وأنا أسمع » قال : قلتُ :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً	تعَلّ بما أجني عليك وتنهلُ
تخاف الردى نفسي عليك وإنها	لتعلم أن الموتَ وقت مؤجّل
فلما بلغت السنّ والغاية التي	إليها مدى ما كنت فيك أوّملُ
جعلت جزائي غلظة وفضاظة	كأنك أنت المنعمُ المتفضلُ
فليتك إذا لم ترعَ حقّ أبوتسي	فعلتَ كما الجار المصاحبُ يفعلُ <sup>(١)</sup>
فأولتيني حقّ الجوار ولم تكن	عليّ بمال دون مالك تبخلُ

قال : فحينئذٍ أخذ النَّبِيُّ ﷺ بتلابيب ابنه وقال : « أنت ومالك ملك لأبيك »<sup>(٢)</sup>.

الحقيقة الرابعة : يحقّ للوالد أن يرجع في هبته لولده :

يحقّ للوالد أن يرجع بهبته التي وهبها لولده ، وليس ذلك لأحد سواه . فالهدية عطاء من شخص لآخر بقصد التملك . و مادام الأمر كذلك فليس لأحدٍ أن يرجع بهديته إلا الوالد الذي أهدى أو وهب لأحد أولاده فله الحقّ في الرجوع بهبته أو هديته . فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يحلّ لأحدٍ يعطي عطيةً فيرجع فيها إلا الوالد لولده »<sup>(٣)</sup>.

(١) نسبت هذه الأبيات لأمية بن أبي الصلت . انظر أشعار الحماسة لأبي تمام ، ج ٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ، ج ١٠ / ص ٤٥ . و الحديث أخرجه ابن ماجه .

(٣) أخرجه أبو داود .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولا يحلُّ لرجل أن يعطي عطية أو يهب هبة ثم يرجع فيها إلاَّ الوالد فيما يعطي ولده ، ومثلُ الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثِّلِ الكلب يأكل فإذا شبع قاء ، ثم يعود في قيئه »<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه الترمذي .

## المبحث الرابع :

### صور البرّ و مجالاته

#### المطلب الأوّل : البرّ حال حياتهما

##### ١ - الدعاء و فضله :

من صور البرّ الدعاء ، و الدعاء كما أنّه هو العبادة فهو كذلك ركن أساسي من أركان البرّ إذا كان للوالدين . و هو الكاشف لأسرار القلب الودود الشّفوق على والديه لأنّه ذكر لهما في غير وجودهما ، و الدعاء الأسلوب المدعّم لروح الحبّ ، و هو معبر عن القلب المفعم بحبّ الخير للوالدين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث دعوات مستجابات لاشكّ فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده »<sup>(١)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل النّبِيّ ﷺ على أمّ سليم فأنتهت بتمر وسمن قال: « أعيديوا سمنكم في سقائه ، وتمركم في وعائه ، فإبّي صائم » ثمّ قام إلى ناحية من البيت فصلّى غير المكتوبة فدعا لأمّ سليم وأهل بيتها فقالت أمّ سليم: يا رسول الله إني لي خويصة . قال : ما هي ؟ قالت : خادمك أنس . فما ترك ( أي النّبِيّ ) خيراً آخرة ولا دنيا إلاّ دعا لي به « اللهم ارزقه ملاً و ولداً و بارك له » فإبّي من أكثر الأنصار ملاً . وحدثتني ابنتي أمينة أنّه دُفِنَ لصلبي مقدم حجّاج البصرة بضع وعشرون و مئة<sup>(٢)</sup>.

وعن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة : « اثنتي بزوجك وابنيك » فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساءً مذكياً ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال : « اللهم إنّه هؤلاء آل محمد

(١) أخرجه الترمذي و أبو داود .

(٢) أخرجه البخاري .

فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد ، إنك حميد مجيد » .  
 قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي ، وقال : « إنك على خير »<sup>(١)</sup> .  
 كما وروي عن أبي حازم أن أبا مرة أخبره أنه ركب مع أبي هريرة رضي الله عنه إلى أرضه  
 بالعقيق ، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته : عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمّاه !  
 فتقول : و عليك السلام ورحمة الله وبركاته . فيقول : رحمك الله كما رببتني صغيراً .  
 فتقول : يا بني ! و أنت فجزاك الله خيراً ، و رضي الله عنك كما بررتني كبيراً ، اللهم بارك  
 لنا في أموالنا و أولادنا<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - عدم التّسبب بشتمهما :

إنّ الوالدين درّتان كريمتان يجب المحافظة عليهما من أذى الآذنين و شتم الشاتمين وإلا  
 قصّرنا في برّهما وتسببنا بالإساءة إليهما . فيجب ألاّ نعمل عملاً يغضبان له غضباً شديداً  
 فيخرجان به عن الحدود الطبيعية فيسبان ذاتهما ، أو أنّك تلجأ لسبّ آباء الآخرين فيسبّ  
 الآخرون أباك أو أمك ، وبهذا تكون قد تسببت بجلب الشتماء إليهما .

فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : إنّ النبي صلى الله عليه وآله رأى رجلاً معه غلام فقال للغلام : « من هذا »  
 قال : أبي . قال : « فلا تمسّ أمامه ، ولا تستبّ له ، ولا تجلس قبلاً ، ولا تدعه باسمه »<sup>(٣)</sup>  
 وفي الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لعن الله من لعن والديه »<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه أحمد في السند .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

(٣) أخرجه ابن السني .

(٤) أخرجه مسلم و النسائي و أحمد .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله ! و هل يشتم الرجلُ والديه ؟ قال : « نعم يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه ويسبُّ أمَّهُ » <sup>(١)</sup>.

### ٣ - الافتخار بالانتساب إليهما :

لقد جاء الإسلام محطماً قيّم الجاهلية عندما أمر بإشهار الولد نسبته لأبيه إذ كان الجاهليون يتنصّلون من الانتساب لأبائهم .

وعندما تسرّبت القيم الغربيّة الحمقاء أخذت الرّوجة تنتسب لزوجها ، أو أنّ بعض القلوب الضعيفة أخذت تتنكّر لأبويها لأنّها حصلت على مركز اجتماعي أو اقتصادي ، وأخذت تتهرّب من اعترافها بأبيها متناسياً أنّ هذا الأب الطيّب البسيط هو الذي أنفق عليه ما أنفق وتعب عليه ما تعب حتّى وصل إلى ما وصل إليه . لذا فإنّ الإسلام حارب هذا العقوق البدائي المتخلف . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنّه غير أبيه فالجنّة عليه حرام » <sup>(٢)</sup>. كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر » <sup>(٣)</sup>.

كما أنّ الأحاديث النبويّة تصوّر خطورة تغيير النّسب لما في ذلك من الكذب والزّيف والتزوير والعقوق للوالد وتشويه صورة المجتمع المعقّد بانتمائهم وارتباطاته النفسيّة والاجتماعيّة . فقد ورد عن أبي ذر رضي الله عنه : أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادّعى ما ليس له فليس منّا ، وليتّبوا مقعده من النار ، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال : عدو الله . وليس كذلك إلا جار عليه » <sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) أخرجه البخاري و مسلم .

(٣) أخرجه البخاري و مسلم .

(٤) أخرجه مسلم .

## ٤ - إنفاذ نذرهما إن عجزا عنه :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أدرك شيخاً كبيراً يهادي بين ابنيه يتوكأ عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما شأن هذا الشيخ ؟ » فقال ابناه : يا رسول الله ! كان عليه نذرٌ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اركب أيها الشيخ ! فإن الله غنيٌ عنك وعن نذرك » <sup>(١)</sup> .

## ٥ - الحج عنهما :

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل الولد من الوسائل التي يجوز للوالدين أن يستخدماها للحج . إذ يجوز للولد أن يحج عن الوالد إذا بلغ الوالد من العمر عتياً . وفي هذا مكرمة إهية للوالد . فعن ابن عباس رضي الله عنه : أن امرأة من خثعم سألت الرسول صلى الله عليه وسلم غداة النحر والفضل ردفه فقالت : يا رسول الله ! إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستمك على الرحلة ، هل ترى أن أحج عنه ؟ قال : « نعم » <sup>(٢)</sup> .

## ٦ .. دعوتهما للإيمان ، و التمسك بشرع الله تعالى :

إن من تمام البر أو أعلى البر أن يكون الابن حريصاً على دعوة والديه أو أحدهما إلى الإسلام . أو إلى التطبيق السليم والهدى الصحيح ، وذلك بأسلوب هادئ ولين ، شفوياً رحيم . ولنصح إلى دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، تلك الدعوة النموذج القدوة ، حيث قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا \* قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ

(١) أخرجه مسلم و ابن خزيمة .

(٢) أخرجه ابن خزيمة .

أَلِهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١١﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١٢﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿١٤﴾ .

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يضرب المثل الأعلى في الحرص على دعوة أمه إلى طريق إلى الهدى والإيمان فهذه أبو كثير التميمي يقول : سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول : (( ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني ، وإن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى ، فقلت لها ، فأبت . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ادعُ الله لها ، فدعا ، فأتيتها وقد أغلقتُ عليها الباب ، فقالت : يا أبا هريرة : إنني قد أسلمتُ . فأخبرتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلتُ : ادعُ الله لي ولأمي . فقال : (( عبدك أبو هريرة ، وأمّه أحبهما إلى الناس )) <sup>(١)</sup> .

وما فعله أبو بكر رضي الله عنه مماثل ما فعله أبو هريرة رضي الله عنه إذ سارع بإيصال والده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبةً في دخول الإسلام .

فمن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت : لما كان عام الفتح ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى قال أبو قحافة لابنة له - وكانت أصغره ولده - : أي بنية أشرفي بي على أبي قبيس - وقد كفَّ بصره - فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنية ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، وأرى رجلاً يسري بين يدي ذلك السواد مقبلاً . فقال : تلك الخيل يا بنية . ثم قال : ماذا ترين ؟ قالت : أرى السواد قد انتشر ، فقال : إذا والله دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي . فخرجت سريعاً حتى إذا هبطتُ به إلى الأبطح ، وكان في عنقها طوقٌ لها من ورق ، فاقتطعها إنسان من عنقها . فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى جاء مع أبيه يقوده . فلما رآه

(١) سورة : مريم ، الآيات : ٤١ - ٥٠ .

(٢) البخاري في الأدب المفرد .

رسول الله ﷺ قال: هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أجيئه؟! فقال: يمشي هو إليك يا رسول الله أحق من أن تمشي إليه. فأجلسه بين يديه، ثم مسح رسول الله ﷺ صدره وقال: «أسلم تسلم» فأسلم<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: برّهما بعد وفاتهما

وبرّ الوالدين لا ينتهي بانتهاء حياتهما، إنّما يمتد إلى ما بعد الوفاة. وفي هذا:

- ١ - تعظيم للوالدين وتكريم لهما أيضاً.
  - ٢ - توفير الفرصة للأولاد كي يتداركوا تقصيرهم مع والديهم في حياتهما. فطرق الإكرام واسعة. ومجالات البرّ عديدة. فلا مبرّر بعد هذه الرّحمة الواسعة للعقوب، غير أنّ الهوى وعبادة الذات تؤثّران مع كيد الشيطان على الولد فيصرفانه عن الطّاعة للوالدين والبرّ لهما.
- فكم هو عظيم هذا الإسلام إذ يعمل على تكريس كل سلوك جميل ليكون ممتداً متّسعاً خاصة إن كان هذا السلوك الحسن يندرج في برّ الوالدين.
- وقد يشبّ الولد فلا يرى والديه أو أحدهما ويجب أن يقَدّم شيئاً إكراماً لهما وتعظيماً لشأنهما. أو قد يموت أحدهما في حياته فيجب على الولد أن يتابع البرّ.
- وبرّ الوالدين بعد مماتهما كما في حال حياتهما له أشكال وصور. ويمكننا الآن ذكر أهمّ وجوه الإحسان للوالدين أو أحدهما بعد وفاتهما:

#### ١ - الدّعاء والاستغفار لهما:

الدّعاء هو العبادة أو هو منّ العبادة، كما أنّ الدّعاء مظهر من مظاهر الانكسار لله وسلوك من السلوكيات المعبرة عن ضعف المخلوق وحاجته للخالق القويّ القادر على كل شيء. فقد قال

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، ٤٦ / ٣. وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه. وسكت الدّهي.

محمد بن سيرين : كنّا عند أبي هريرة رضي الله عنه فقال : (( اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمّه ولمن استغفر لهما )) قال محمد : فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

ولمّا كان الاستغفار للوالدين والأولاد هو طلب المغفرة من ذنوبهم ومحوها ، فإنّ من شأن هذا أن يرفع مراتب الآباء والأولاد في الجنّات التي أعدّها الله للصالحين من عباده .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (( إنّ الله عزّ وجلّ ليرفع الدرّجة للعبد الصّالح في الجنّة فيقول : يا ربّ ! أتى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك )) <sup>(٢)</sup>.

٢ - برّ صديقهما بعد وفاتهما ، و صلة الرّحم التي لا توصل إلا بهما :

إنّ صديق الوالدين أو أحدهما يُذكّر بهما بعد وفاتهما ، فتفجر الذّكريات متتابعةً على شريط الذّاكرة ، ويستأنس القلب السّليم بصديق الوالدين . ولذا فإنّ في إكرامنا لأصدقاء والدينا إكرام لوالدينا على الرّغم من غيابهم عنّا ، وإسداء لهما بالوفاء والودّ على الرّغم من بعدهم ، وهذه هي الغاية في الوفاء والغاية في الود .

فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما : أنّه كان إذا خرج إلى مكّة كان له حمار يتروّح عليه إذا ملّ ركوب الراحلة ، وعمامة يشدّها بها رأسه ، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار إذ مرّ به أعرابيٌّ فقال له ابن عمر : ألسنت فلان ؟ قال : بلى . فأعطاه الحمار . فقال : اركب هذا ، وخذ العمامة اشدّد بها رأسك . فقال لابن عمر بعض أصحابه : غفر الله لك ، أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروّح عليه ، وعمامة كنت تشدّها بها رأسك ؟ فقال : إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (( إنّ من أبرّ البرّ صلة الرّجل أهل وُدّ أبيه بعد أن يولّي )) وإنّ أباه كان وداً لعمر <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

(٣) أخرجه مسلم .

وروى أبو بردة قال : « قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال : أتدري لِمَ أتيتك ؟ قلتُ : لا . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ » وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وودَّ فأحبيتُ أن أصل ذاك <sup>(١)</sup> .  
و كذا يظهر في الحديث الشريف التالي أهمية حفظ أصدقاء الأب بعد موته لما في هذا من الإكرام والإجلال للوالد ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « احفظ ودَّ أبيك لا تقطعه فيطفيئ الله نورك » <sup>(٢)</sup> .

وصلة الرَّحْمِ الَّذِي هُوَ امْتِدَادٌ لِلآبَاءِ أَوْ هُوَ نَتَاجُ عَنْهُمَا مَفْرُوضٌ فِي الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَرِّهِمَا . فعن مالك بن ربيعة السَّاعِدِي رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال : هل يبقى من برِّ أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ؟ فقال ﷺ : « نعم . الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَازُ عَهْدِهِمَا بَعْدَهُمَا ، وَصَلَاةُ الرَّحْمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا » <sup>(٣)</sup> .

### ٣ - إنفاذ عهدهما ووصيتهما بعد وفاتهما :

إنَّ حَفْظَ الْعَهْدِ خَلْقٌ كَرِيمٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ الَّتِي زَرَعَهَا الرَّسُولُ ﷺ وَالصَّحْبُ الْكِرَامُ فِي نَفْسِ النَّاشِئَةِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ . وَإِنْفَازُ عَهْدِ الْوَالِدِينَ وَتَنْفِيزُ وَصِيَّتِهِمَا وَاجِبٌ إِسْلَامِي لِأَنَّهُ يَدْعُمُ الرِّوَابِطَ الَّتِي أَرْسَاهَا الْإِيمَانُ بَيْنَ الْوَالِدِ الَّذِي يَمْشِي وَيَقُومُ وَيَتَحَرَّكُ ، وَبَيْنَ الْوَالِدِ الَّذِي وَسَدُّ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، غَيْرَ أَنَّ أَمْرَهُ بِإِنْفَازِ الْوَصِيَّةِ سَارِيًّا كَمَا لَوْ كَانَ حَيًّا يَصُولُ وَيَجُولُ . وَهَذَا غَايَةُ الْإِكْرَامِ لِلْوَالِدِ الَّذِي كَدَّ وَسَعَى وَبَذَلَ مَا بَذَلَ مِنْ أَجْلِ الْأُسْرَةِ وَالْأَوْلَادِ .

(١) أخرجه ابن حبان .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن . ٨ / ١٤٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک و قال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح ٤ / ١٥٥ .

فعن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال : إن أمه أوصته أن يعتق عنها رقبةً مؤمنة ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن أمي أوصتني أن أعتق عنها رقبةً مؤمنة ، وعندني جارية سوداء نوبية ، أفاعتقها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أدعُ بها » فدعوتها ، فجاءت ، فقال لها النبي ﷺ : « من ربك ؟ » قالت : الله . قال ﷺ : « فمن أنا ؟ » قالت : رسول الله . فقال ﷺ : « اعتقها فإنها مؤمنة » <sup>(١)</sup> .

غير أن الأولاد قد يواجهون ظروفاً مادية أو اجتماعية صعبة تحول أو تعيق إنجاز وصية الوالدين . لكن الإيمان القوي بالله ، وصدق التوكل عليه سيدلّلان كل الصعوبات مادامت الغاية إرضاء الوالدين أو برهما .

ولعل مصداق هذا ما روي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني ، فقممت إلى جنبه ، فقال : يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالمٌ أو مظلوم ، وإني لا أراني إلا سأقتلُ مظلوماً ، وإن من كبير همي لديني ، أفترى ديننا يُبقي من مالنا شيئاً ؟ ثم قال : فإن فضل شيء من بعد قضاء الدين فثلث لولدك . قال : عبد الله بن الزبير : فجعل يوصني بدينه ويقول يا بُني ! إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي . قال : فوالله ! ما دريت ماذا أراد حتى قلتُ : يا أبت ! من مولك ؟ قال : الله . فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلتُ : يا مولى الزبير ! اقض عنه دينه .

قال : فقتل الزبير ولم يدع ديناراً أو درهماً إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة داراً بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر . قاله ، وإنما دينه الذي كان عليه أن الرجل الذي كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير : لا ، لكن هو سلف فإني أخشى عليه الضيعة . وما ولي أمانة قط . ولا جباية ولا خراجاً ، ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوٍ مع الرسول ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان .

(١) أخرجه أبو داود و النسائي .

قال عبد الله بن الزبير : فحسبت ما كان عليه من الدين فوجدته ألفي و مئتي ألف .  
 قال : فلقي حكيمُ بن حزام عبدَ الله بن الزبير فقال : يا ابن أخي كم على أخي من الدين ؟  
 فكتمته وقلت : مئة ألف . فقال حكيم : والله ما أرى أموالكم تسع هذه . فقال عبد الله أرايتك  
 إن كان ألفي ألف . قال : ما أراكم تطيقون هذا فإن عجزتم عن شيء فاستعينوا بي . وكان الزبير  
 قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف ، فباعها عبد الله بألف ألف وست مئة ألف ثم قام فقال :  
 من كان له على الزبير شيء فليوافنا بالغابة .

فأتاه عبد الله بن جعفر ، وكان له على الزبير أربع مائة ألف ، فقال لعبد الله : إن  
 شئتم تركتها لكم . قال عبد الله : لا . قال : فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم . فقال  
 عبد الله : لا . فقال : فاقطعوا لي قطعة . فقال عبد الله : لك من هاهنا إلى هاهنا . قال : فباع  
 عبد الله منها فقصى دينه وأوفاه ، وبقي منها أربعة أسهم ونصف .

قال : فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير و ابن زمعة ، فقال له  
 معاوية : كم قومت الغابة ؟ قال : كل سهم بمئة ألف . قال : كم بقي منها ؟ قال : أربعة  
 أسهم ونصف . فقال : المنذر بن الزبير : قد أخذت منه سهماً بمائة ألف . وقال عمرو بن  
 عثمان : قد أخذت سهماً بمئة ألف . وقال ابن زمعة : قد أخذت سهماً بمئة ألف . فقال  
 معاوية : كم بقي ؟ قال : سهم ونصف . قال : قد أخذته بخمسين ومائة ألف .

قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بست مائة ألف . قال : فلما فزع ابن  
 الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا . قال : لا والله لا أقسم بينكم حتى  
 أنادي بالموسم أربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه .

قال : فجعل كلّ سنة ينادي في الموسم . فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ودفع الثلث . قال : وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كلّ امرأة ألف ألف و مئتا ألف قال : فجميع ماله خمسون ألف ألف و مئتا ألف ))<sup>(١)</sup> .

(( هذا من عظيم البرّ الذي يقدمه الابن لوالديه ، مع اليقين والثقة بالله تعالى في تيسير أمر البرّ وتنفيذ عهدهما ))<sup>(٢)</sup> .

جعلني الله وإياك من البررة الذين ينهجون نهج السلف الصالح في برّ والديهما .

#### ٤ - الصدقة عن الوالدين من البر :

ما من شكّ أنّه ليس من المروءة وليس من البرّ أن يتقلّب الولد في بحار النعمة و الرفاه و يكابد الوالدين آلام الجوع والعوز والحرمات دون أن يكفّيهما ذلك السؤال ، و يوفرّ لهما كريم العيش .

و بالرغم من استغناء الوالدين عن إنفاق ولديهما عليهما بوفاتهما إلا أنّ الإسلام قد شرع الصدقة من الولد عن والديه كي ينالا الأجر والمكرمة عند الله ، وفي ذلك كريم البرّ لهما إذ يعلى من قدرهما في ميزان الله ، و يمحو عنهما ذنوباً بالصدقات المبذولة .

فقد روي أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ : إنّ أمي تُوفّيت ، أينفعها إن تصدّقتُ عنها ؟ قال : (( نعم )) قال : فإن لي محرماً ، فأنا اشهدك أنني تصدقت به عنها<sup>(٣)</sup> .

كما أنّ رسول الله ﷺ قال : (( ما على أحد إذا أراد أن يتصدّق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ، فيكون لوالديه أجرها و يكون له مثل أجورهما من غير أن ينتقص من أجورهما شيء ))<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه البخاري .

(٢) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية للطفل ، ص ١٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي .

(٤) أخرجه الطبراني .

## ٥ - المسارعة في الأعمال الصالحة التي تسرهما :

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : (( إن أعمال الأحياء تُعرض على الأموات من

الأقرباء والعشائر في البرزخ )) .

و كذا ورد عن جابر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن أعمالكم تُعرض على

أقاربكم وعشائركم ، فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا اللهم اللهم أن

يعملوا بطاعتك ))<sup>(٢)</sup>.

و كذا أورد ابن كثير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم

وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم

حتى تهديهم كما هديتنا ))<sup>(٣)</sup>.

وروى ابن المبارك بإسناده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول : (( إن أعمالكم تُعرض

على أمواتكم ، فيُسروَن أو يساوون )) ثم يقول : (( اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به

عند خالي عبد الله بن رواحة ))<sup>(٤)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى .

وتُعرض على الأنبياء وعلى الآباء وعلى الأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد

وجوههم بياضاً وإشراقاً . فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم ))<sup>(٥)</sup> .

(١) -سورة : التوبة ، الآية : ١٠٥ .

(٢) -أخرجه أبو داود الطيالسي بإسناده .

(٣) -خرجه أحمد .

(٤) -«كذا نقله محمد نور بن عبد الحفيظ في كتابه ، منهج التربية النبوية للطفل ، ص ١٧٩ .

(٥) -«كذا نقله الشيخ عبد الله سراج الدين في كتابه ، الإيمان بعوالم الآخرة .

وكذا قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له »<sup>(١)</sup>.

فلنعمل جميعاً من أجل برِّ الوالدين ، فإنَّ برَّهما جلابٌ لخيري الدّنيا والآخرة .

#### ٦ - زيارة قبر الوالدين :

تذكّر الآخرة برُّ الله لأننا بتذكّرها نتصور عظمة الله وقدرته وجلاله ، كذلك فإنَّ تذكّر الآخرة برُّ لأنفسنا لأنَّ تذكّر أهوالها يردع النفوس الأمارّة بالسوء إن كان فيها عرق ينبض بالإيمان والخشية .

وزيارة القبور وسيلة من وسائل تذكّر الآخرة ، الآخرة بجنّاتها ، بنيرانها ، بملائكة العذاب ، بملائكة الرحمة . فإن النبي ﷺ كما روى عنه أبو هريرة ؓ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال : « استأذنتُ ربِّي في أن استغفر لهما فلم يأذن لي ، واستأذنتُهُ في أن أزور قبرهما فأذن لي . فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت »<sup>(٢)</sup>.

وكذا ورد عن أبي هريرة ؓ قوله : قال رسول الله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه ، فزوروا فإنّها تذكّر بالآخرة »<sup>(٣)</sup>.

#### ٧ - برّ قسمهما ، وعدم سبهما :

برّ قسم الوالدين إنجازاً لوعدهما ، وإكرام لهما عند الخالق وعند العباد ، ودفع للنتم عنهما ، وحفظ لهما ، وصون لكرامتهما .

فعن عبد الرّحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من برّ قسمهما ، وقضى دينهما ، ولم يستب لهما كُتبَ باراً وإن كان عاقاً في حياته ، ومن لم يبرّ قسمهما ، ويقضى دينهما ، و استب لهما كُتبَ عاقاً وإن كان باراً في حياته »<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه الترمذي . وقال : حديث حسن صحيح .

## ٨ - الصّوم عنهما :

عن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال : أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت : إن أُمِّي توفّيت وعليها صوم شهرين . فقال : « صومي عنها » .  
 فقالت : إن عليها حجّة قال : « حجّي عنها » .  
 قالت : فإني تصدّقت عليها بجارية . فقال : « قد آجرك الله ، وردّها عليك الميراث » <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط . و سكت الهيثمي في المجمع عن سنده ، ٨ / ١٤٧ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ، ٤ / ٣٤٧ . وقال : صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه . و أقرّه الأدهبي .

## المبحث الخامس :

### عاقبة عقوقهما الدنيوية ، و ضابط ما يُسمى عقوقاً .

#### المطلب الأوّل : العقوبة الدنيويّة للعاق

ويمكن أن نلخص العواقب النّاجمة عن العقوق في خاتمة هذا القسم لما لهذه المسألة من الأخطار على الابن في حياته الدّنيا عدا ما يصيبه من عذاب أليم في والآخرة .

فقد عدّ الرّسول ﷺ العقوق من كبائر الذّنوب فقد روى عنه أبو بكر ﷺ أنّه قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الإشرار بالله وعقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس فقال : « ألا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت <sup>(١)</sup> .

وكم هو عظيمُ حديثُ معاذ الذي رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه عن معاذ بن

جيل ﷺ : أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال :

« لا تشرك بالله شيئاً ، وإن قتلت وحرقت .

ولا تعقنّ والديك ، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك .

ولا تتركنّ صلاةً مكتوبةً متعمداً ، فإنّه من ترك صلاةً مكتوبةً فقد برئت منه ذمّة الله .

ولا تشربنّ خمراً ، فإنّه رأسُ كلِّ فاحشة .

وإياك والمعصية ، فإنّ بالمعصية حلّ سخطُ الله .

وإياك والفرار من الزحف ، وإن هلك الناس .

وإذا أصاب النَّاس موتٌ وأنت فيهم فاثبت .

وأنفق على عيالك من طولك .

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

ولا ترفع عنهم عصاك أدباً .

وأخفهم في الله» (١) .

وجاء في النصوص الصريحة المؤكدة التّعجيل بعقوبة العاقّ في الدنيا . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كلّ الذنوب يؤخّر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنّ الله يعجلّ لصاحبه في الحياة الدّنيا قبل الممات » (٢) .

### المطلب الثاني : ضابط العقوق

ومما امتاز به الشّرع الإسلاميّ دقته في تشريعه وانضباطه في أحكامه . فلم يترك مسألة العقوق للمزاج والهوى وإنما وضع لها ضوابط كي لا تضع المسؤوليات .

لقد كانت النصوص الإسلامية تهاجم العاقين ، وذكرت كثيراً من ألوان العقوق .

ويمكن القول : إنّ ألوان الأذى العام ينضوي تحته كل ألوان العقوق . أي : كلّ ما يشعر به الوالدين في داخل نفسيهما أنّه أذى ويورث الغضب والانزعاج فهو عقوق .

فقد قال ابن حجر الهيتمي : (( لو فعل معه ما يتأذى به تأدياً ليس بالهين عرفاً كان كبيرةً ، وإن لم يكن محرماً لو فعل مع الغير . كأن يلقاه فيقطّب في وجهه ، أو يقدم عليه في مأذناً فلا يقوم له ولا يعبأ به . ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل و المروءة من أهل العرف بأنّه مؤذّن تأدياً عظيماً )) (٣) .

(١) أخرجه أحمد و ابن ماجة و البخاري في الأدب المفرد .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک .

(٣) ابن حجر الهيتمي ، الزّواج ، ٢ / ١٧٣ .

## خاتمة

## نماذج من البرّ في بيت رسول الله ﷺ

أولاً : نموذج من برّ الرسول ﷺ بوالديه من الرضاعة :

إننا أمام النموذج الأمثل الأعظم رسول الله ﷺ الذي علمنا كل شيء بفعله و قوله فأحسن تعليمنا ، وذكرنا فكان نِعَم المذكر .

فعن عمر بن السائب رضي الله عنه أنه قد بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع لها شِقْ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه . ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام النبي ﷺ فأجلسه بين يديه <sup>(١)</sup> .

و روى أبو الطفيل رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يقسمُ لحمًا بالجرعانة ، وأنا يؤمئذٍ غلام أحمل عظم الجزور ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت من النبي ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلتُ : مَنْ هي ؟ فقالوا : أمه التي أرضعته <sup>(٢)</sup> .

ثانياً : نموذج من برّ السيدة فاطمة برسول الله ﷺ :

فقد روت السيدة أم هانئ رضي الله عنها أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال : « مَنْ هذه ؟ » فقلت : أنا أم هانئ بنت أبي طالب . فقال : « مرحباً بأم هانئ » <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه البخاري و مسلم .

كما أن سهل بن سعد سأل عن جرح رسول الله ﷺ وقد كُسرَت رِباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه . فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم . وكان علي ﷺ يسكب عليه بالمجن . فلما رأَت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرةً أخذت قطعة حصير فأحرقته حتَّى صار رماداً فألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم<sup>(١)</sup> .

---

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

البيضة : الخوذة التي توضع على الرأس وقت الحرب - المجن : الترس .